

## رسالة من الإخوان المسلمين: دروس من تحويل القبلة



كان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في مكة قبل الهجرة يتوجهون في صلاتهم إلى الكعبة منذ أن فرضت الصلاة في رحلة الإسراء والمعراج، وعندما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أمره الله تعالى بالتوجه في صلاته إلى المسجد الأقصى واستمر على ذلك ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ثم أمره الله تعالى أن يتوجه مرة أخرى في صلاته إلى الكعبة، وقد تحدث القرآن الكريم عن تحويل القبلة في تسع آيات من سورة البقرة في مستهل الجزء الثاني هي قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مَا وَلَاهُمْ عَنْ قُبْلِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَسْرُقُ وَالْغَرْبُ يَهْدِي مِنْ يَشَاءُ إِلَيْهِ صَرَاطَ مُسْتَقِيمٍ \* وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أَمَّةً وَسَطَّا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً وَمَا جَعَلْنَا الْقُبْلَةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا أَلَا لِتَعْلَمُ مَنْ يَتَبَعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقُلِبُ عَلَى عَقِبِهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ \* قَدْ نَرَى تَنَبَّلَ وَجْهَكُمْ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّنَّكُمْ قِبْلَةً تَرْضَاهُمْ فَوْلَ وَجْهَكُمْ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحِيتَ مَا كُنْتُمْ فَوْلَ وَجْهَكُمْ شَطَرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا رَبِّهِمْ بِمَا يَعْمَلُونَ \* وَلَنَ يَأْتِيَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَعْوَلُوا قِبْلَتَكُمْ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ اتَّسَعَ أَهْوَاهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمْنَ الظَّالِمِينَ \* الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَنْبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقاً مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ \* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونُ مِنَ الْمُمْتَرِينَ \* وَلَكُلُّ وَجْهَهُ هُوَ مُوْلَيْهَا فَاسْتَبِشُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ \* وَمَنْ حَيَّثُ خَرَجْتَ فَوْلَ وَجْهَكُمْ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ \* وَمَنْ حَيَّثُ خَرَجْتَ فَوْلَ وَجْهَكُمْ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحِيتَ مَا كُنْتُمْ فَوْلَ وَجْهَكُمْ شَطَرَهُ لِتَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشُوْهُمْ وَاحْشُوْنِي وَلَا تَمِنْ نَعْمَلِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهَدُونَ﴾ (البقرة: 142 – 150).

وتأمل هذه الآيات الكريمة، وكيفية معالجة القرآن الكريم لهذه الحادثة وأثارها في نفوس المسلمين؛ يفتح عيوننا ويرشدنا إلى الكثير من الدروس التي ننتفع بها في حياتنا، ومن هذه الدروس ما يلي:

أولاًـ الدعاية السوداء وسيلة السفهاء:

فقد استغل اليهود هذه الحادثة في إثارة الفتنة، وبذر الخلاف، وببلة الأفكار، وإلقاء الشكوك والريب في النفوس التي لم تشرب بعد حقيقة الإسلام،

ولم تستقر فيها قيمه، وهذه هي طريقة السفهاء في كل زمان ومكان، نفس العقول الكليلة، والقلوب المريضة، والأفكار السوداء، فرغم أن أهل الكتاب يعلمون الحق، ويعقون أن ما يقومون به دعوة سوداء؛ إلا أنهم استمروا في مخططهم بهدف الكيد للعقيدة الإسلامية، عن طريق زعزعة إيمان العامة، والتأثير على البسطاء، وبليلة أفكارهم وتشكيكهم في دينهم؛ وتأمل يا أخي الحبيب قول الله تعالى عنهم: **﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبْغُوا قَبْلَتَكُمْ﴾** وقوله سبحانه عنهم كذلك: **﴿الَّذِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فِرَقَنَا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾**. فهم ليسوا صادقين مع أنفسهم، ولا مع ربيهم، ولا مع الناس، ولا يحركم إلا الهوى والغرض، ولا يدفعهم إلا الحقد والحسد، وسلامهم المكر والدس، والكذب والخداع، وهم يمارسون كل أساليب الدعاية السوداء، وهي نفس الأدوات التي يستخدمها أعداء المشروع الإسلامي اليوم في تشويه الإسلام ورموزه وحملة رايته، فيرمون الإسلام بالعنف والإرهاب، كما لم ينعوا من قبل ولا من بعد، ويرجون أن الإسلام مضى عصره، وولى زمانه، وأنه لا يصلح للحضارة الحديثة؛ وهم يعلمون أنه وحده دون غيره المؤهل لوراثة حضاراتهم المتداعية التي قرضاها الظلم، وهد ركناها القهر والاستغلال، وتکاد تودي بها أمراض السرف والتلف والتحلل والمجوءة؛ فاعملوا أيها الأحباب ولا تلتقطوا إلى أصحاب الدعاية السوداء والقلوب السوداء، ووثقوا صلتكم بالمجتمع وضاعفوا جهودكم في توعيته وإنارة عقله ولبه بحقائق الإسلام الناصعة، وأنواره الساطعة.

ثانياً- المبادرة وسرعة الاستجابة سمة جيل الرواد:

فقد أظهرت هذه الحادثة كما أظهرت كثير غيرها سرعة الاستجابة والمبادرة عند هذا الجيل الرائد من أصحاب محمد، صلى الله عليه وسلم؛ فقد كانوا عمليين ولم يكونوا نظريين ولا جدليين، وتأمل معى أيها الأخ الحبيب ما رواه البراء بن عازب رضي الله عنه قال: **أول ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل على أجداده أو قال أحواله من الأنصار، وأنه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرًا وكان يعجبه أن تكون قبلة قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاتها صلاة العصر، وصلى معه قومٌ، فخرج رجلٌ من صلاته، فمر على أهل مسجد وهو راكعوه، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى عليه وسلم قبل الكعبة، فداروا كما هم قبل البيبة، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس، فلما ولى وجهه قبل البيت أنكروا ذلك، فنزلت: **﴿قُدْ تَرَى تَقْلِبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ ...﴾** . فقال السفهاء وهو اليهود: **﴿مَا وَلَاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾**** (رواية مالك والشیخان والترمذی)؛ فلم يتظر هؤلاء الصحابة الكرام حتى يتموا صلاتهم ثم يتحققوا من الخبر أو يراجعوا فيه، ولكنهم بادروا إلى التنفيذ والعمل؛ ولم يكن هذا سلوكاً طارئاً، ولا موقفاً عارضاً، لكنه كان سمة هذا الجيل؛ ويمكنك أخي الحبيب أن تستدعي معي موقف الصحابة حين نزل قول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَقْلِبُونَ﴾** (المائدة: 90) وتذكرة معي كيف أسرع هؤلاء الرواد إلى إراقة الخمور المخزونة في بيوتهم حتى سالت بها طرقات المدينة، ولم ينتفعوا منها بشيء حتى بببعها؛ فقد اجتنبوا كل الاجتناب حتى كسروا آياتها؛ ووضعوا بذلك خطأً فاصلاً بين حياتهم السابقة التي أفوهوا، وحياتهم الجديدة التي رسمها لهم هذا التكليف الرباني، ولكن أن تستدعي معي موقفهم في غزوة خيبر وقد أخبرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بتحريم الخمر الأهلية، فكفأوا القبور وما بها من طعام أو شوك على النضج وقد غزت رواحه الأنوف فتحركت لها البطون الجائعة، وهم في غزوة وليس لديهم طعام إلا ما سكبوه؛ ولكنها المبادرة وسرعة الاستجابة لتنفيذ أوامر الله تعالى، ولم تكن هذه السمة فاصرة على الرجال دون النساء، ولكن أيها الحبيب أن تستدعي موقف الصحابيات الرائدات عندما نزلت آية الحجاب؛ وقرأ الأزواج على زوجاتهم، والآباء على بناتهم، والإخوة على أخواتهم قول الله تعالى: **﴿وَلَيَضْرِبُنَّ بِخُمُرٍ مِّنْ عَلَى جَيِّوَهِنَّ﴾** (النور: من الآية 31).

تروي السيدة عائشة رضي الله عنها هذا الموقف فتقول: **“رَحِمَ اللَّهُ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ عِنْدَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ آيَةُ الْحِجَابِ قَمِنَ إِلَى مِرْوَطِهِنَ الْقَدِيمَةِ فَتَنَقَّنَهَا فَاعْتَجَرْنَ بِهَا، وَأَصْبَحْنَ يَصْلِينَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ عَلَى رُؤُوسِهِنَ الْغَرَبَاتِ؛ فَإِذَا أَرْدَتُمْ، أَيَّهَا الْأَحَبَّ، وَلَكُنُوا رَوَادًا لِمَكْتُمِهِنَ مُثْلَمَهُنَّ لَا جَدِيلَهُنَّ، وَكَوْنُوا أَصْحَابَ مِبَادِرَهُنَّ، وَأَكْثَرُهُنَّ مِنَ الْعَمَلِ وَتَنَافِسُهُنَ فِيهِ، وَقَلَّوْهُنَ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا مَا يَنْبَنيُنَ عَلَيْهِ عَمَلٌ، وَثَقَوْهُنَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيِّعْطِيْكُمْ مَا أَعْطَاهُنَ مِنَ الْقَبْوُلِ وَالرِّضَا وَالنَّصْرِ وَالْتَّمْكِينِ إِنْ نَهَجْتُمْ نَهَجَهُمْ وَنَسْجَتُمْ عَلَى مَنْوَاهِهِنَّ.**

وتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم \*\*\*\* إن التشبيه بالرجال فلاح

ثالثاً- التربية على الإخلاص لله والتجدد لعقيدة الإسلام:

وتتجلى هذه التربية القرآنية في تحويل القبلة؛ فقد كان المسلمين يعظمون الكعبة قبل أن تستضيء نفوسهم بأنوار الإسلام؛ ولما فرضت الصلاة كانت قبلة المسلمين إلى الكعبة المشرفة وهي البيت الذي اعتقدوا أن يعظموه قبل الإسلام فلم يكن ذلك غريباً عليهم، ولا ثقلاً على نفوسهم، فأراد الله تعالى أن يخلص إيمانهم من كل شائبة، وأن يجرد عقيدتهم من كل أثر أو إيحاء سابق، فأمرهم أن يتوجهوا في صلاتهم إلى المسجد الأقصى وتركهم في هذا الاختبار ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً حتى يستقر لديهم أن التعظيم إنما يكون لأمر الله تعالى، لا للبيت ولا لجهة، وقد كان هذا الاختبار شديداً، وكانت هذه التربية شاقة ولكنها عظيمة الآخر **﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِتَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِنْ يَنْتَهِيْكُمْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾** فعندما استقرت هذه العقيدة في قلوبهم، واستقرت هذه العقيدة في عقولهم، أفر الله تعالى عيونهم بما يحبون فأمرهم بأن يعودوا للتوجه إلى الكعبة في صلاتهم: **﴿قُدْ تَرَى تَقْلِبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَتَوَلِّنَكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا قُولَّ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ قُولَّا**

وُجُوهُكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ<sup>١</sup>). فانتهجو أية الأحباب هذه التربية، ول يكن الإخلاص لكم شعاراً، والتجرد لكم دثاراً، وتجروا لفلكنكم، وارتبطوا بالمبادئ لا بالأشخاص، واعرفوا الرجال بالحق، ولا تعرفوا الحق بالرجال، واعرفوا الحق تعرفوا أهله، ودوروا مع الحق حيث دار.

رابعاً- القبلة الواحدة نداء دائم للأمة كي تتوحد: إن أمة التوحيد هي أولى الورى بوحدة الصد وجمع الكلمة؛ وهذه القبلة الواحدة التي يتجه إليها المسلمين في صلاتهم مهما نأت بهم الديار وتباعدت بهم الأقطار تهتف بهم أن يتتوحدوا، فيا للعجب توحدنا القبلة وتفرقنا المصالح والأهواه؛ فيما أبناء الإسلام في كل مكان استمعوا إلى نداء ربكم سبحانه: ﴿وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنَقَّرُوا وَادْكُرُوا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَالَّذِي بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبِحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْرَاجًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُرْفَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهَمَّدُونَ﴾ (آل عمران: 103) واستمعوا إلى نداء ربكم يحذركم من الفرق والتنازع والشقاق: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَنَقَّشُوا وَتَذَهَّبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (الأنفال: 46).

إن مقاومة مشروعات أعداء الإسلام تتطلب تكاتف جهود أبناء الأمة الإسلامية جميعاً، فإذا كان الأعداء يواجهوننا متحدين متكتلين فكيف نواجههم متفرقين متشرذمين؟!

فلا بد لأبناء الأمة الإسلامية في كل مكان أن يحس بعضهم بآلام بعض، وأن يضمد بعضهم جراح بعض، وأن يعيش بعضهم قضايا بعض، ويحمل بعضهم هموم بعض؛ ليكونوا بحق كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثُل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالحمى والسهر".

خامساً- القبلة الأولى تستصرخ الأمة كي تتحرر: فتذكروا أية الأحباب أن المسجد الأقصى كان قبلة المسلمين في وقت من الأوقات، وأنه شهد مسرى الرسول صلى الله عليه وسلم ومعراجه، وشهد إمامته للأنبياء، ومكانته في الإسلام لا تقل عن مكانة أخويه، وفي الحديث: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا".

والمسجد الأقصى اليوم في قبضة اليهود الغاصبين، وتحريره واجب على كل مسلم، وهو يتعرض يومياً للتدمير من قبل اليهود، ومحاولات تهويده وتقسيمه زمانياً ومكانياً بين المسلمين واليهود ما زالت مستمرة كخطوة تمهدية لهدمه وإزالته بالكلية وإقامة الهيكل المزعوم مكانه؛ وهم يقيسون ردود فعل المسلمين بعد كل خطوة يخطونها، فإذا أظهر المسلمين يقطة ووعياً وتمسكاً بمقادسهم فإن محاولات اليهود ستبوء بالفشل حتى يأتي اليوم الذي تتحرر فيه كل أراضي المسلمين من كل سلطان أجنبي وتتوافق أفواج المسلمين للصلوة في ساحات الأقصى: وما ذلك على الله بعزيز ﴿وَبَقَوْلُونَ مَتَّ هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (الإسراء: 51).

والله أكبر والله الحمد  
جماعة الإخوان المسلمين